

(١)

فضائل العشر وفضل الأضحية
وفقه المقاصد

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، القائلِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، **وبعد :**

فإن من فضل الله تعالى على عباده أن جعل أيام الخير والبركة تتوالى ، تضاعف فيها الحسنات ، وتكفر فيها السيئات ، ويُستكثر فيها من الصالحات ، ويتجدد فيها نشاط العبد فيسارع فيها إلى الخيرات ليتقرب من رب الأرض والسماوات.

فحياة المسلم زاخرة بالأعمال الصالحة ، والعبادات المشروعة التي تجعله في عبادةٍ مُستمرةٍ ، وعملٍ صالحٍ ، وسعيٍ دءوبٍ إلى الله جل في علاه ، ويمتاز دهره بأنه مليء بالمواسم الفاضلة والأوقات العامرة ، وتمتاز أيامه بالنفحات العطرة والرحمات المتقاطرة ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) ، ولهذا حثنا نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة اغتنام واستثمار هذه النفحات ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (افعلوا الخيرَ دَهْرِكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفْحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفْحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ).

وشهر ذي الحجة من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال ، قال تعالى : {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ...} ، فلها قداسة وحرمة ومكانة عند الله

(٢)

(عز وجل) ، وللأيام العشرة الأولى منه مكانة عظيمة ، يضاعف فيها ثواب الطاعات ، وجعل الله (عز وجل) ثواب العمل الصالح فيها أكثر ثواباً وأعظم أجراً من العمل فيما سواها من الأيام ، فهي أيامٌ شريفةٌ فاضلةٌ عالية القدر ، وهي أعظم أيام الدنيا بركةً ، فهي عشرٌ مباركاتٌ كثيرةٌ الحسنات ، عالية الدرجات ، متنوعه الطاعات ، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، حول الكعبة المشرفة يطوفون ، وإلى الطاعات يتسابقون ، وفي الخيرات يتنافسون ، ليتزودوا بخير زاد ؛ عملاً بقول الله تعالى : { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } .

ولقد نوه الإسلام بقدر هذه الأيام المباركة فأمر المسلمين أن يغتنموا ليلاً ونهارها فيسارعون إلى عمل الصالحات رغبة في التقرب إلى الله (عز وجل) الذي يجزي الحسنة بعشر أمثالها، قال سبحانه: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } .

ولهذه الأيام فضائل كثيرة، منها:

أن الله تعالى أقسم بها في كتابه الكريم ، والله تعالى لا يقسم إلا بعظيم ، ولا يجوز لخلقه أن يقسموا إلا به ، فالقسم بها يدل على عظمتها ورفعة مكانتها ، وتعظيم الله تعالى لها، وتنويهاً بشأنها وفضلها، وإرشاداً لأهميتها ومكانتها ومنزلتها ، قال سبحانه: { وَالْفَجْرِ * وَبِالْأَيَّامِ الْعَشْرِ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } ، والذي عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في تفسير هذه الآيات: (العشر: عشر النحر، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر).

ومن فضائلها: أنها الأيام المعلومات التي قال الله تعالى عنها: { وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } ، فهي أيام تجتمع فيها أمهات العبادات ، كالصلاة ، والصدقة ، والصيام ، والحج ، ولا يتأتى ذلك في غيرها من الأيام ؛

(٣)

لذا يستحب فيها كثرة ذكر الله تعالى ، فالذكر حياة القلوب ويحقق طمأنينتها، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ)، وكان عمر (رضي الله عنه) يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً)، وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام خلف الصلوات وعلى فراشه، وفي مجلسه وممشاه ، ومن ثم فيستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام إعلاناً بتعظيم الله تعالى.

ومن فضائلها: أنها أفضل أيام العام ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ ، عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ...) والعمل الصالح فيها أحب إلى الله من غيرها ، فهي موسم للربح ، وميدان السبق إلى الخيرات ، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

وفيها يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ، الذي أكمل الله (عز وجل) لنا فيه الدين، وقد حسدنا اليهود على هذا الكمال، فقد قال حبر من أحبار اليهود لسيدنا عمر (رضي الله عنه): آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود؛ اتخذنا ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، قال عمر (رضي الله عنه): (قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ).

ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاه ذلك فضلاً ، فهو يوم الحج الأكبر

(٤)

وهو يوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، فَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي أَتُونِي شُعْنًا غُبْرًا صَاحِحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ) ، وهو اليوم المشهود ، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (اليَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ...) ، من ملك فيه جوارحه وسان سمعه وبصره ولسانه غفر الله له ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (...إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلَكٍ فِيهِ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَلسَانُهُ غُفِرَ لَهُ) ، والدعاء فيه مجاب ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صومه تطوعًا لغير المحرم يكفر ذنوب سنتين: سنة ماضية وسنة مقبلة ؛ فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ، وَالَّتِي بَعْدَهُ) ، ولذا فإنه يستحب اغتنام هذا اليوم بكثرة الصيام ، والقيام ، والذكر ، وقراءة القرآن الكريم ، وصالح الأعمال ، سواء أكانت من أعمال العبادات أم من أعمال عمارة الكون وصناعة الحياة .

وفيها كذلك يوم النحر ، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة ، وهو أفضل الأيام ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِي يَلِيهِ) ، فأيام العشر من ذي الحجة من أعظم المواسم التي امتن الله تعالى بها على عباده ، والموفق من اغتنمها وحاز رضا الله تعالى فيها .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

(٥)

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

من أهم أعمال الخير التي يتأكد فعلها في عشر ذي الحجة للقادر التقرب إلى الله (عز وجل) **بذبح الأضحية** التي سنها لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحثاً على فعلها ؛ لما فيها من التقرب إلى الله (عز وجل) ، وإحياء لسنة أئبنا إبراهيم (عليه السلام) ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا)، فهي سنة مؤكدة ، قال تعالى : {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ}، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: (ضَحَّى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَكْبَشِينَ أَمْلَحِينَ أَفْرَنِينَ) ، وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) : (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحر يوم الأضحي بالمدينة) ، ومن ثم يسن لكل قادر موسر أن يتقرب إلى الله بفعلها ؛ لأنها شعيرة عظيمة من شعائر الدين الإسلامي الحنيف ، بها تتحقق التقوى ، قال تعالى : {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأضحية فإننا نوكد أن الهدف والمقصد العام منها هو التوسعة على الأهل من جهة ، وعلى الفقراء والمحتاجين من جهة أخرى ، بقصد إدخال السرور عليهم جميعاً، ولنا هنا وفقات:

أولاً: أن الأضحية هي لون من ألوان التكافل والتراحم في ديننا الحنيف.

ثانياً: ضرورة الحفاظ على البيئة والالتزام بالذبح في المجازر أو الأماكن المخصصة لذلك ، وعدم الذبح في الطرقات أو مداخل العمارات ، حتى لا يتسبب

(٦)

ذلك في أضرار صحية وبيئية ، أو إلحاق الأذى بالغير بمخلفات الذبح ونحوه.

ثالثاً: عندما اشترط الفقهاء سنّاً محددةً للأضحية وضعوا في اعتبارهم ضرورة الحفاظ على الثروة الحيوانية ، وذلك بالبعد عن ذبح ما هو دون سن الأضحية سواء من الإبل ، أم البقر ، أم الغنم ، حتى لا تُهدر ثروتنا الحيوانية ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَذَبْحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ يُعْسَرَ عَلَيْكُمْ فَتَذَبْحُوا جَدَاعَةً مِنَ الضَّانِ) .

وذكر الفقهاء أن ما يجزئ من الإبل ما أتم خمس سنوات ، ومن البقر ما أتم سنتين ، ومن الضأن ما أتم ستة أشهر ، ومن الماعز ما أتم سنة ، وفي تضحية النبي (صلى الله عليه وسلم) بكبشين أقرنين أملحين إشارة واضحة إلى ضرورة ترك الأنثى المنتجة لتكثير النسل، مما يؤكد أن ديننا دين حضارة وعلم ورفي ، ولا يمكن أن يصطدم بحياة الناس ، بل إنه جاء لصالح البلاد والعباد في كل شؤون حياتهم ومعاشهم ومعادهم.

وليعلم المضحى أن الأضحية إنما هي شعيرة يتقرب بها إلى الله (عز وجل) فلا يجوز بيع شيء من لحمها أو جلدها ، أو إعطاء شيء من ذلك للجزار على سبيل الأجرة ، فعلى المضحى الاستفادة بالجلد ، أو التصديق به أو بئمنه ، مع الحرص على عدم وقوع ثمنه في يد أي جماعة من الجماعات المتطرفة التي قد تستغله فيما يضر بمصالح البلاد والعباد.

رابعاً: هل صك الأضحية يحقق المقصد ؟ وأيهما أمثل: أن يباشر الإنسان ذبح أضحيته بنفسه؟ أو أن يوكل غيره عن طريق شراء صك الأضحية؟ نقول: لو كان الإنسان يعيش في منطقة يكثر فيها الفقراء ويقبل فيها الأغنياء قريةً ، أو نجعاً ، أو منطقة شديدة الفقر ، فالأولى أن يبادر بإدخال الفرحة على من حوله ، وأن يذبح أضحيته في المكان المخصص لها بالضوابط الصحية ، ثم يسارع بإدخال الفرحة على المحتاجين من الفقراء والمساكين ، فهذا أسرع لوصول الخير إليهم ، شريطة أن يتقي الله (عز وجل)

(٧)

في توزيع أضحيتيه ، فلا يُؤثر نفسه وأصدقاءه بأفضل أجزائها ، وبوزع مالا يشتهي منها للفقراء ، وعليه أن يتأسى برسولنا (صلى الله عليه وسلم) يوم أن سأل السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن الشاة التي ذبحت (ما بقيَ منها؟) قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَيْفُهَا، قَالَ: (بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَيْفِهَا).

وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تطيب الدراهم والدنانير قبل أن تتصدق بها، ولما سئلت عن ذلك ، قالت : (إن الدراهم تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل) ، ويقول الحق سبحانه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، ويقول سبحانه: {وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

أما من يسكنون في المناطق الراقية التي يكثر فيها الأغنياء ويقل فيها الفقراء فشراء الصكوك لهؤلاء أولى وأفضل وأنسب ، لأنه يؤدي إلى وصول الأضحية إلى الأكثر استحقاقاً في المناطق الأكثر احتياجاً بصورة منظمة ، على أن يتحرى الجميع الدقة والأمانة في الجهة التي ينيبونها عنهم في توزيع لحوم الأضاحي ، وأن تبادر هذه الجهات بذبح الأضاحي في الوقت المخصص لها شرعاً ، وأن تبادر بسرعة توزيعها وإيصالها إلى مستحقيها.

وما أجمل أن يجمع المستطيع الموسر بين الأمرين الذبح توسعةً على أهله ، وشراء الصكوك توسعة على عامة الفقراء في المناطق المحرومة والأكثر احتياجاً. فحريٌّ بكل مسلم أن يعرف لهذه الأيام فضلها ، ويقدر لها قدرها ، فيحرص على الاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة ، ويشكر الله (تعالى) على فضلها وفضل العمل الصالح فيها ، وأن يشكره (عز وجل) على بلوغها وهو في أمنٍ وعافية. **فَاللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا نَسْكَنَا ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ .**